المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات
International Journal of Research and Studies Publishing
ISSN: 2709-7064
المجلد الرابع - الإصدار الرابع والأربعون
تأريخ النشر: 20 يونيو 2023 م

الاستخلاف وعلاقته بالعمران في القرآن الكريم

Succession and its relationship to urbanization in the holy Quran

إعداد: الدكتورة/ مريم حسين علي محمد السادة

دكتوراه في الدراسات الإسلامية وقضايا المجتمع المعاصر، دولة قطر

Email: m.alsada66@gmail.com

ملخص:

تتلخص هذه الدراسة في بيان منهج القرآن الكريم في الاستخلاف وعلاقته بالعمران، من خلال دراسة مفهوم الاستخلاف في القرآن الكريم، وأنواعه، وشروطه، وتوضيح علاقة الاستخلاف بالعمران في القرآن الكريم. ومما لا شك فيه أن الاستخلاف يتقوى بالإيمان والتقوى والعمل الصالح، ويتراجع بالكفر، والشرك، والظلم، والفساد؛ ولذلك جاءت المنهجية القرآنية لتوافق بين الجانب النظري (العقل والفكر) والجانب التطبيقي (العمل)؛ حيث يعتبر جوهر العمران في القرآن الكريم وعي الإنسان حول سبب استخلافه في الأرض، أو أهمية وجوده فيها؛ مما يؤدي إلى تعزيز قواه العقلية والنفسية والبدنية نحو كيفية تطويره وتقدمه من أجل ممارسة خلافته في الأرض على النحو المذكور في القرآن الكريم، واستخدام الثروات التي أودعها الله جل في علاه لخدمة الإنسان؛ فهو مطالب باستغلال تلك الثروات بعلمه ومعرفته وتقدمه النظري والاستخدام الأمثل لقوته الإنتاجية، دون الإغفال عن الجانب المعنوي وقيم الروح والمادة، والذي يستطيع الإنسان من خلالها تحويل تلك الثروات والموارد الطبيعية إلى ما يخدم مجتمعه، وتزدهر من خلاله الدائرة الإنتاجية لمجتمعه الذي يعيش فيه. ولا يمكن ممارسة الفعل الاستعماري من غير مكوناته المتمثلة في الاستخلاف والتسخير؛ لذلك لا بد على الإنسان المستخلف أن يعمل وفق ما تقتضيه المنهجية القرآنية في قضيتي الاستخلاف والتسخير، وأن يعي مفهوم الاستخلاف، ويتعرف على ماهيته وحقيقته، ولا يغفل عن جوهر التسخير وأصله وأهدافه، التي ترمي إلى عمارة الأرض. وبناءً على ذلك ارتأيت تقسيم هذه الدراسة إلى مبحثين، أحدهما يبين مفهوم الاستخلاف في القرآن الكريم، والآخر يوضح علاقة الاستخلاف بالعمران في القرآن الكريم، في محاولة لتوضيح خيوط الفعل الاستعماري والبناء الحضاري. وكان من أهم النتائج التي تمخضت عن هذه الدراسة: عدم اقتصار العمران في القرآن الكريم على البناء المادي فحسب؛ بل يشمل العمران الروحي والوجداني، والمتمثل بالإيمان، والتحلي بمكارم الأخلاق.

الكلمات المفتاحية: الاستخلاف، العمران، العمارة، الإنسان، الحضارة

Succession and its relationship to urbanization in the holy Quran

Dr. Maryam Hussain A M Alsada - Qatar

Email:m.alsada66@gmail.com

Abstract:

This study is summarized in explaining the approach of the Holy Qur'an in succession and its relationship to urbanization, through a study of the concept succession in the Holy Qur'an, its types, and conditions, and clarification of the relationship of succession to urbanism in the Holy Qur'an.Therefore, the Quranic methodology works between the theoretical aspect (the mind thought) and the applied side (application); the essence of urbanization in the Holy Qur'an is considered human awareness of the reason for his creation in the earth, or the importance of his presence in it; which leads to the strengthening of his mental, psychological and physical powers towards the development and advance him in order to practice his succession on earth as mentioned in the Holy Qur'an.Accordingly, this study is divided into two sections, the first section explains the concept of succession in the Holy Qur'an, and the second section clarifies the relationship of succession to urbanization in the Holy Qur'an, in an attempt to clarify the threads of colonial action and civilized construction. One of the most important results of this study was: that urbanization in the Holy Qur'an is not limited to physical construction only; rather, it includes spiritual and emotional development, which is represented by faith, and good morals.

Keywords: Succession, Urbanization, Architecture, Human, Civilization

1. مقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فمن أهم المبادئ التي تفرد بها الإسلام ولم تدعو إليها أي عقيدة أخرى هو مبدأ خلافة الإنسان في الأرض، الذي يقرر غاية الوجود الإنساني، ويدعو إلى النظرة الشمولية حول العالم بما فيها من مسخرات وموارد طبيعية وإمكانيات وقدرات وهبها الخالق للإنسان، من أجل تكليفه بمهمة الخلافة في الأرض، يقول تعالى: **((ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ))** [يونس: 14]، تؤكد الآية الكريمة اقتران العمران بالاستخلاف، وارتباط استخلاف الإنسان بما يقوم به من دور وظيفي نحو عمارة الأرض، وأن الله سبحانه سيجازي كل عامل بعمله ومنهجية القرآن الكريم في الاستخلاف إنما تصب في خدمة الإنسان، وترسم له خيوط الحركة العمرانية، بما فيها من أوامر إلهية، ونواه، وقيم أخلاقية، تؤدي إلى ازدهار الحضارة الإنسانية؛ حيث "تمثل الحضارة خلاصة الممارسات الاستخلافية للكيانات البشرية المتعاقبة على وجه الأرض، بصرف النظر عن الزمان والمكان؛ فهي حصيلة تضافر الجهود الجماعية لأمة ما، انطلاقاً من رؤية خاصة تمثل تصوراً معيناً للوجود والإنسان، ودوره فيه (الأحمر،2017، ص**122**) ولما جاء مفهوم العمران في القرآن الكريم يتوافق مع مفهوم الاستخلاف؛ جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على علاقة الاستخلاف بالعمران؛ حيث ستتبع هذه الدراسة عددا من الآيات القرآنية الكريمة التي توضح مفهوم الاستخلاف، وتبرز علاقته بالعمران.

1.1. مشكلة البحث، وأسئلته:

تدور مشكلة البحث حول الإجابة عن التساؤلات الآتية: التساؤل الرئيس في هذا البحث: ما هي علاقة الاستخلاف بالعمران في القرآن الكريم، كما يتفرع من هذا السؤال أسئلة فرعية أخرى، منها:

1- ما هو مفهوم الاستخلاف في القرآن الكريم؟
2- ما هي أنواع الاستخلاف في القرآن الكريم؟
3- ما هي شروط الاستخلاف في القرآن الكريم؟
4- ما هي أغراض الاستخلاف في القرآن الكريم؟

2.1. أهداف البحث:

1- إبراز العلاقة بين العمران القرآني والمجتمع الإنساني.
2- توظيف آليات العمران القرآني، وتوضيح مداركه.
3- توضيح علاقة الاستخلاف بالعمران.

3.1. أهمية البحث:

1- ارتباط الاستخلاف بالعمران المعنوي، وعدم انفكاكهما عن الآخر؛ فالعمران المعنوي الذي ينتج من العقيدة السليمة، وأحكام الشريعة، والأخلاق الحميدة، هو الذي يؤدي إلى خلافة تحقق معنى الوجود الإنساني.

2- يُعد العمران محور العلاقة المتبادلة بين الإنسان وغيره من الناس؛ فهناك حاجة إلى التركيز على العمران الجماعي وإبراز وظيفته في النهوض بالمجتمع، والتمتع بحياة متوازنة يسودها التعاون، والأمن والأمان.

4.1. محتويات البحث:

يحتوي هذا البحث على مقدمة، ومبحثين على النحو الآتي: المبحث الأول: مفهوم الاستخلاف في القرآن الكريم، والمبحث الثاني: ارتباط الاستخلاف بالعمران في القرآن الكريم، كما يحتوي على خاتمة تشتمل النتائج والتوصيات، وقائمة مصادر ومراجع.

المبحث الأول: مفهوم الاستخلاف في القرآن الكريم.

من خلال التأمل في آيات الذكر الحكيم تتضح العناية الإلهية في تحديد المعالم الرئيسية للاستخلاف، وتحديد سلم التمكين ومناطه، تارة من خلال توضيح ماهيته، وتحديد مداركه وواجبات المستخلفين في الأرض، وتارة من خلال التأكيد على غايته وأهدافه، وتارة من خلال بيان كيفية تحقيقه وما يضمن استمراريته، وتارة أخرى من خلال التأكيد على العلاقة الوثيقة التي تربط الاستخلاف بالعمران؛ فالاستخلاف مبدأ قرآني هدفه تنمية الإنسان، وعمران مجتمعه بالخير والعمل الصالح حيث يعتبر الاستخلاف من الأمور الرئيسية التي تناولتها المنهجية القرآنية باختلاف الأساليب والأشكال، على سبيل المثال يأتي الأسلوب القصصي ليبين مفهوم الاستخلاف، والاستفادة من الدروس والعبر التي تضمن المحافظة على الاستخلاف، والسبل التي تعين على استمراريته لا سيما في قصص الأنبياء مع أقوامهم، قال تعالى: **((وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ))**[الأعراف: 74].

- **أولاً: تعريف الاستخلاف.**

1- في اللغة: من خلال البحث في كتب اللغة والمعاجم، يتضح أصل الاستخلاف قائماً على الحروف الثلاثة: الخاء، اللام، الفاء، وهذا الجذر له عدة معان منها: النيابة سواء نيابة شخص عن شخص أو قرن عن قرن، ومنها خلاف قدام، ومنها التغيير؛ حيث جاء في كتب اللغة أن الاستخلاف: الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني خلاف قدام، والثالث التغير" (ابن فارس، 1979، ص210)، وإذا قيل في هؤلاء القوم خلف ممن مضى أي يقومون مقامهم ويحلون محلهم، والخلف: القرن يأتي بعد القرن (ابن منظور، 1414، ص84). ويتضح من خلال ما تقدم من التعريفات السابقة اتفاق ابن فارس، وابن منظور في تعريف الاستخلاف بأنه ما يعني النيابة عن الغير.

2- في الاصطلاح: لا يختلف معنى الاستخلاف في الاصطلاح عن المعنى اللغوي، حيث يعرف في الاصطلاح أنه بمعنى: النيابة وقيام الاحق بما يقوم به السابق، غير أن الراغب الأصفهاني يضيف أسباب النيابة عن الآخر والمتمثلة في الغيبة، أو الموت، أو عدم المقدرة، أو التشريف، ولا شك أن هذه الأسباب ترد ولا تصح نظراً لأن المستخلف سبحانه وتعالى منزه عن كل هذه الأسباب؛ فهو الحي القيوم الذي لا يموت، وهو القاهر فوق عباده، والقادر على كل شيء وحده لا شريك له؛ حيث يقول صاحب المفردات: "بأن الخلافة تعني النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف" (الراغب الأصفهاني، 1412، ص294). كما يوضح الكفوي معنى خليفة الله، أي:" كل نبي،

استخلفهم الله في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم، لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه، بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي أمره بغير وسط" (الكفوي، د.ت، ص427).

3- في الاصطلاح القرآني: دارت مادة "خلف[1]" في القرآن الكريم ستاً وخمسين مرة موزعة على العهدين: المكي والمدني، ووردت في العهد المكي خمسا وثمانين مرة، وفي العهد المدني خمساً وأربعين مرة.

وجاءت الألفاظ كالآتي: (خَلَفَ، خلفتُمُوني، يخلُفونَ، اخلُفني، خُلِّفوا، أخالفكمْ، يخالفونَ، فأخلفتكمْ، فأخلفتمْ، أخلفنا، أخلفوا، تُخلف، نُخلِفُهُ، يُخلِفَ، يُخلِفُهُ، تخلفهُ، يتخلفوا، اختَلَفَ، اختلفتم، اختلفوا، تختلفون، يختلفون، فاختلف، استخلف، يستخلف، يستخلفكُمْ، ليستخلفنَهمْ، خلفٌ، خلفك، خلفكم، خلفنا، خلفه، خلفها، خلفَهُم، خلفِهم، الخالفين، خلافٍ، خِلافكَ، خِلفةً، الخوالِفِ، خليفةً، خلائف، خلفاء، المُخلَّفونَ، للمُخلَّفينَ، مُخلِفَ، اختلاف، اختلافاً، مختلفٌ، مختلفاً، مختلفونَ، مختلفينَ، مستخلفينَ)،

ملاحظات حول الاصطلاح القرآني لمادة خلف:

يتضح من خلال الرصد السابق ورود مادة خلف في العهدين المكي والمدني، ووردت في العهد المكي ما يقارب ضعف ورودها في العهد المدني، ولعل في ذلك إشارة إلى أن طبيعة المؤمنين يغلب عليها الإدراك والوعي نحو أهمية الخلافة، والدور الذي ينبغي القيام به من أجل عمارة الأرض بالخير والعمل الصالح، واستشعار لما أودعه الله سبحانه وتعالى عليهم من نعم أهلتهم إلى الخلافة في الأرض؛ حيث كان أفراد المجتمع المدني يغلب عليهم الصفات الحميدة لاستقرار الإيمان في قلوبهم، فكان الحث على استغلال النعم والخلافة في الأرض على الوجه المطلوب، والتذكير به في المجتمع المكي أكثر حاجة من المجتمع المدني لما كان يحتاجه من تصحيح عقيدة، ونبذ شرك، ودعوة إلى أخلاق مستقيمة تؤدي إلى عمران القلوب. ووردت المادة بصيغة الماضي والمضارع، والمفرد والجمع؛ لما في ذلك دلالة أن الاستخلاف مهمة يقوم بها الفرد والجماعة، كما وردت لازمة ومتعدية.

وجاءت العديد من الآيات التي تفيد صيغة الجمع، والمتمثلة في خلائف، يقول تعالى: **((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ))** [الأنعام: 165]، نستشف من الآية الكريمة بوجود تباين في درجة تمثيل الخلافة في الأرض، كما جاءت العديد من الآيات الكريمة التي تخدم نفس الدلالة، أو المعنى العام للآية السابقة، والتي تفيد معنى خلف الحاضر بالسابق، بأن يقوم مقامه، وفق عملية متناغمة ومستمرة، ومن تلك الآيات الكريمة، قوله تعالى: **((ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ))**[يونس: 14]، وقوله تعالى: **((هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا))**[فاطر: 39]، ومن خلال التأمل في الآيات المذكورة آنفاً يُستنتج أن القرآن الكريم قد سلط الضوء على الاستخلاف وجعله بمثابة الاختبار الذي يمتحن به المؤمن على أدائه الدنيوي لينال الجزاء الآخروي؛ نتيجة لما قدمه في مرحلة استخلافه.

ومن خلال النظر في الآيات الكريمة وتتبع ورود مصطلح الاستخلاف نجد أن أغلب الآيات إن لم تكن جميعها جاءت مقترنة بالتمكين، ويعرف ابن عاشور الخليفة بأنه: "الذي يخلف غيره في عمل، أي يقوم مقامه فيه، فإن كان مع وجود المخلوف عنه قيل: هو خليفة فلان، وإن كان بعد ما مضى المخلوف قيل: هو خليفة من فلان" (ابن عاشور، 1984، ص242).

[1] من أجل تتبع ورود مادة "خلف" في القرآن الكريم، انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، مادة (خ ل ف).

هذا ويضيف القرآن الكريم للاستخلاف معنى آخر يتمثل في تحمل مسؤولية الأمانة في الخلافة أو الإشراف على الناس، يقول تعالى: **((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا))** [الأحزاب: 72]؛ فالخلافة استئمان ولهذا عبر القرآن الكريم عنها في الآية إنا عرضنا الأمانة؛ فالأمانة تفرض الاحساس بالواجب والمسؤولية، وبدون إدراك الكائن أنه مسؤول لا يمكن أن ينهض بأعباء الأمانة أو يختار لممارسة دور الخلافة (الصدر، 1421، ص103) "والاستخلاف بمعنى تحمل مسؤولية الحكم والقيادة، والاستخلاف بمعنى النيابة بين الناس في تأمين مصالحهم الفردية والجماعية (الأحمر،2017، ص**108-110**)، هذا وذكر المفسرين في معنى الخليفة ثلاثة أقوال: القول الأول: خليفة عن الله تعالى، وهذا القول أجازه بعضهم للأنبياء، وبعضهم للأولياء، وبعضهم للبشر جميعاً، والقول الثاني: خليفة عن جنس سابق، كالجن مثلاً، وهذا القول مختلف فيه، وصرح به بعض المفسرين بأنه ضعيف. أما القول الثالث: خليفة عن الإنسان، نبي عن نبي، أو إنسان عن إنسان، وهذا المعنى متفق عليه، أي لا يخالف في جواز القول به أحد، (عباس، وخطاطبة، 2016، ص113).

4- التعريف التركيبي: تكليف – المستخلِف - الخالق سبحانه وتعالى -المستخلَف- الإنسان، بعمارة -المستخلَف فيه- الأرض التي هي محور الاستخلاف وجوهره، والسعي نحو عمارة الأرض وإصلاحها، وتوظيف الموارد، والإمكانيات التي سخرها الله سبحانه وتعالى للإنسان، والتمسك بالقيم الأخلاقية التي تؤدي إلى ازدهار الحضارة الإنسانية، والالتزام بما جاءت به منهجية القرآن الكريم، من أوامر إلهية تعتبر الدليل الحي والإرشادي لعملية بناء الإنسان، والخلافة، والعمران.

- **ثانياً: أنواع الاستخلاف في القرآن الكريم.**

من خلال التأمل في آيات الذكر الحكيم يتضح أن للاستخلاف نوعين: استخلاف خاص، واستخلاف عام، فأما النوع الأول يراد به شخص معين، أو فئة معينة من الناس، ومن أهم أهدافه الإرشاد، والتوجيه، والحكم بين الناس ويوضح المنهج القرآني ما يندرج تحت هذا النوع كخلافة الأنبياء -عليهم السلام-، قال تعالى: **((يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ))** [ص: 26]، تبين الآية الكريمة اصطفاء الله سبحانه وتعالى داوود عليه السلام ليكون خليفة في الأرض، وذلك لاجتماع صفات الاستخلاف التي أهلته ليحكم بين الناس بالحق والعدل، بعيداً عن الهوى، مؤكداً سبحانه أثر اتباع الهوى في الضلال والابتعاد عن سبيل الله سبحانه وتعالى وكما قال تعالى: **((وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ))**[الأعراف: 142]، أي اتبع سبيلي ونهجي الذي سرت عليه نحو الصلاح والإصلاح، وابتعد كل البعد عن الفساد في الأرض وعن المفسدين فيها؛ فنرى في الآية الكريمة طلب موسى - عليه السلام- من أخيه حتى ينوب عنه في الخلافة، موصياً بالإصلاح، والتمسك بالحق، وعدم سماع كلمة من يسعى في الأرض فساداً وكذلك من الاستخلاف الخاص ما يراد به مجتمع معين، أو أمة معينة، أو فئة معينة من الناس، سواء كانوا علماء، أو أئمة دين، أو غير ذلك، قال تعالى: **((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ))**[النور: 55]، يتضح من الآية الكريمة استخلاف مجتمع معين من الناس، والمتمثل في المجتمع الصالح الذي يؤمن بالله سبحانه ويعمل الصالحات؛ حيث يعدهم خالقهم سبحانه بأن يمكنهم في الأرض، ويبدل خوفهم بالأمن والأمان؛ وذلك جزاءً لإيمانهم به، والتزامهم بشرعه،

وتطبيق منهاجه أما النوع الثاني من الاستخلاف، فهو الذي لا يقتصر على فئة معينة بل يراد به عموم الناس، وهو الاستخلاف العام، ومن أهم أهدافه عمارة الأرض بشكل جماعي، قال تعالى: ((**هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا**))[فاطر: 39]. يتضح مما سبق أن الاستخلاف في القرآن الكريم جاء لجميع البشر، ولجميع الأجيال، إنه استخلاف فردي واستخلاف جماعي في آن واحد، وهذا ما يضمن استمراريته، وصلاحه لكل زمان ومكان، ويتحقق من خلاله الهدف الرئيس المتمثل في عمارة الأرض.

- **ثالثاً: شروط الاستخلاف في القرآن الكريم.**

يكمن جوهر الاستخلاف في العلاقة التي تربط بين الخليفة والمستخلِف، وكيف يحافظ الخليفة على تلك العلاقة بالاقتراب من مستخلِفه سبحانه وتعالى، والإيمان به، والعمل الصالح، والابتعاد عن الهوى والضلال، وكل ما يزعزع صفاء الروح؛ فدور الخليفة يتمثل في طاعة مستخلِفه، وأن لا يخالف قوانينه وأحكامه، ولا يخرج عن أوامره، ويتجنب نواهيه ومن أهم مميزات الخليفة الصالح أن يعبد الله كأنه يراه، ويسبح بحمده آناء الليل وأطراف النهار، ويكثر من الأعمال الصالحة التي تقربه إليه، ويبذل قصارى جهده في توظيف النعم لخدمة دينه، وصلاح نفسه، وبناء مجتمعه؛ "فخلافة الإنسان في الأرض تقوم على جانبين وتتم بحركتين: الأولى: حركة الإنسان في مجال تحقيق العبودية، والثانية: حركة الإنسان في مجال تحقيق السيادة (الدسوقي، 1986، ص46).

وإن أردنا التطرق إلى أهم شروط الاستخلاف وركائزه، يمكننا بدايةً الاستشهاد بآية قرآنية كريمة تحتوي على العديد من الشروط وأهم الركائز التي يقوم عليها الاستخلاف، والمتمثلة في قوله تعالى: ((**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**))[النور: 55]؛ نلتمس من هذه الآية الكريمة أهم شروط الاستخلاف، والمتمثلة في: الإيمان بالله سبحانه وتعالى: ((**الَّذِينَ آمَنُوا**))، والعمل الصالح: ((**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**))، وعبادة الله سبحانه وتعالى: ((**يَعْبُدُونَنِي**))، وتوحيده، وعدم الإشراك به جل وعلا: ((**لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**))، ونرى ارتباط هذه الشروط بعضها مع البعض، أو بمعنى آخر كل منها يشتق من الآخر، ويندرج تحته؛ بحيث ينبثق العمل الصالح وحسن العبادة، وعدم الإشراك بالله سبحانه وتعالى من الإيمان الراسخ، والعقيدة الصحيحة. كما تبين الآية الكريمة ثمرات العمل بشروط الاستخلاف، وهي كالآتي: النصر والتمكين في الأرض، وتحقيق الحياة الآمنة المطمئنة، وتبديل الخوف بالأمن والأمان؛ حيث وعد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة المستخلفين الذي يؤمنون بالله جل في علاه ويحاربون الكفر والشرك بكل أصنافه، ويحرصون على القيام بالأعمال الصالحة بالتمكين في الأرض، وتقوية إرادتهم، ومدهم بالأمن والآمان ومن خلال التأمل في آيات الذكر الحكيم يرى أن الإيمان بالله سبحانه وتعالى هو المحور المركزي التي تدور عليه عملية الاستخلاف؛ يبرهن على ذلك العديد من الآيات القرآنية الكريمة، منها قوله تعالى: ((**آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ**))[الحديد: 7]؛ حيث من أهم شروط استخلاف الإنسان في الأرض الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وتوحيده، وتحقيق عبوديته، والقيام بالأعمال الصالحة، وأن تكون تلك الأعمال نابعة من العقيدة المستقيمة الناتجة من المعرفة التوحيدية،

والتي يبتغي الإنسان فيها الإخلاص لوجه الله سبحانه وكذلك من أهم شروط الاستخلاف وركائزه التحصن بالأخلاق الفاضلة، كالعدل الذي ينبغي أن تقوم عليه الخلافة، يقول تعالى: **((يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ))** [ص: 26]، تبين الآية الكريمة أهم شرط ينبغي أن يتوافر في الخليفة وهو أن يكون عادلاً لا يتبع الهوى فيما يحكم بين الناس بل يقوم بالقسط، يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة: " هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيله"(ابن كثير، 1999، ص62) بالإضافة إلى الصبر في مرحلة الخلافة، قال تعالى: **((قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ))** [الأعراف: 128]؛ حيث ما نطقت به الآية الكريمة يؤكد أن الصبر مفتاح التمكين. ومن القيم الأخلاقية كذلك الشكر على النعم التي أنعمها الله سبحانه على الإنسان وأهلته للخلافة، والأمانة التي تمثل أهم ما ينبغي حملها في الخلافة، وغيرها من القيم الأخلاقية. ولا نغفل عن دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكيف يضمن للإنسان استمرارية استخلافه وتمكينه في الأرض، قال تعالى: **((الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ))** [الحج: 41]؛ تبين الآية الكريمة أهم المقومات والعوامل التي تساعد على استمرارية تمكين الإنسان في الأرض والمتمثلة في إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا ومن مقتضيات الاستخلاف الحرية التي من شأنها يستطيع الإنسان ممارسة عمله على الوجه المطلوب، حرية بعيدة عن الخوف من الظالمين، يواجه من خلالها المسلم أعداء الدين، ولكن هذه الحرية ليست حرية مطلقة؛ بل مقيدة بقوانين تحكم الإنسان، وتضمن له الخير والسلامة في أمور دينه ودنياه، وسينال الجزاء عليها؛ فالاستخلاف تكريم رباني للإنسان وفي الوقت نفسه اختبار له؛ وهو "تكليف واختبار للفئة المؤمنة، التي إذا تهيأت لها ظروف الريادة والقيادة لغيرها من الأمم الأخرى، وحكمت شرع الله، وأصلحت دنيا الناس بمنهج الله القويم، دام لها المجد والسؤدد، وإذا تقاعست عن ذلك، وأخلت بشروط الاستخلاف الإسلامي، انتكست وخابت، وصارت محكومة بغيرها بعد ما كانت حاكمة لغيرها (الأحمر،2017، ص**109**) وبعد توضيح مفهوم الاستخلاف وبيان أنواعه وتحديد شروطه من خلال الرؤية القرآنية الحكيمة، ننتقل إلى المبحث الثاني من هذه الدراسة، والذي يبين ارتباط الاستخلاف بالعمران، وتوضيح المعالم المشتركة بين كل منهما.

المبحث الثاني: ارتباط الاستخلاف بالعمران في القرآن الكريم.

من خلال النظر في القرآن الكريم حول البناء العمراني يمكن إدراك ارتباط الاستخلاف بالعمران والعمارة؛ وذلك من خلال الاشتراك في المعاني والدلالات، بالإضافة إلى كونهما غاية الوجود الإنساني؛ فالفعل العمراني وليد الاستخلاف؛ حيث يأتي العمران بفعل الإنسان الذي استخلفه الله سبحانه وتعالى في الأرض، ورسم له الخارطة التي يسير عليها في مرحلة استخلافه، وحدد له العناصر الرئيسة لمقاصد المنهجية القرآنية في بنائها للعمران؛ "فلما كانت عمارة الأرض هي مهمة تكليفية من الله تعالى للإنسان، فإن العناصر الأساسية التي يتألف منها البيان القرآني لمقصد العمارة هي ثلاثة: طبيعة التكليف الإلهي للإنسان بمهمة العمارة، وهي طبيعة الاستخلاف، وطبيعة العلاقة التعميرية بين الإنسان والأرض، وهي الارتفاق، وطبيعة العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وهي الشهادة على الناس؛ فهذه هي العناصر الأساسية لمقاصد القرآن في بناء العمران" (النجار، 2017، ص71) ومن حكمة الله جل في علاه أن جعل الإنسان خليفة في الأرض،

قال تعالى: ((**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**)) [البقرة: 30 – 33]؛ تؤكد الآية الكريمة أن بداية الوجود الإنساني تتمثل في استخلافه في الأرض الذي يعتبر المقصد الأساس من خلق الإنسان وسر وجوده في هذه الحياة، كما تبين الآية الكريمة كيف أشهد الله سبحانه وتعالى ملائكته الكرام بجعل الإنسان خليفة في الأرض يمارس عمارة الأرض بالتقوى والعمل الصالح، ووهبه العقل والعلم الذي من خلاله تميز عن غيره من المخلوقات، وزوده بجميع القدرات والإمكانيات التي تؤهله ممارسة الخلافة في الأرض على الوجه المطلوب؛ فالآية الكريمة تدور حول قضية استخلاف الله سبحانه وتعالى الإنسان على هذه الأرض، وتؤكد أن العلم من مقومات الاستخلاف، جاء في مصنف ابن أبي شيبة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:((|حَسَبُ الرَّجُلِ: دِينُهُ، وَمُرُوءَتُهُ: خُلُقُهُ، وَأَصْلُهُ: عَقْلُهُ (ابن شيبة، 1409، ص**212**))؛ فالدين، والأخلاق الفاضلة، والعقل ركائز الإنسان المستخلَف كما يعيد المنهج القرآني نظر الإنسان حول العديد من النعم التي أنعمها الله سبحانه وتعالى عليه، إذ جعله خليفة في الأرض، وجعله في أحسن تقويم، ومده بالقوة، والإرادة، وزوده بكل ما يحتاج إليه، لعمارة الأرض، قال تعالى: ((**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**)) [الأعراف: 69]، وقال تعالى: ((**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**))[الأعراف: 74]؛ فبالنظر بتلك النعم، وغيرها من النعم التي لا تعد ولا تحصى قد يدرك الإنسان واجبه تجاه تلك النعم؛ مما يؤدي إلى حسن استغلالها، وتوظيفها فيما يخدم الخلافة والعمران، واتباع الطريق المستقيم، الذي رسمه منهج القرآن الكريم، ولعل من أهم النعم التي أنعمها الخالق على الإنسان، وتميز بها عن غيره من سائر المخلوقات، نعمة العقل، التي يستطيع من خلالها تحمل مسؤولية الأمانة في مسيرة الخلافة، والتي يستطيع من خلالها ضبط العلاقة مع الخالق، ومع النفس، ومع الناس، ومع سائر المخلوقات الأخرى هذا وتظهر العلاقة الوثيقة بين الاستخلاف والعمران من خلال دعوة القرآن الكريم الإنسان المستخلَف، للقيام بدوره، ووظيفته في عمارة الأرض، وتحقيق غاية وجوده الإنساني، يقول تعالى: ((**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ**))[هود: 61]؛ حيث يقوم العمران على غايتين: غاية تعبدية، وغاية استخلافية، وهو مشروع يستهدف الإنسان ليحقق معنى وجوده، ويستهدف الأمة في مسيرتها من أجل تحقيق سنن الاستخلاف (كهوس، 2013، ص100)؛ فكل إنسان في هذه الحياة مكلف أن يؤدي أمانته، ويحقق خلافته من خلال أداء العمل، أو الوظيفة المكلف بها، والتي تسعى إلى خدمة نفسه، وخدمة غيره من بني جنسه في آن واحد؛ مما يؤدي إلى تضافر الجهود بين الناس باختلاف أنواع تلك الجهود وأشكالها، وتعاون الجميع مع بعضهم البعض، والقيام بمهمة الخلافة، والنهوض بالمجتمع كل حسب عمله، ومكانته الوظيفية؛ "فوظيفة الخلافة التي جعلت غاية للوجود الإنساني تعني مباشرة الإنسان للكون بالروح وبالجسم، اعتباراً به واستثماراً لمنافعه وخيراته، كل ذلك تكميلاً للذات في بعدها الفردي والجماعي، وترقية لها في وجهتها إلى الله تعالى عبر منهج العبادة(النجار، 2017، ص63)" هذا ولما كانت غاية الاستخلاف ومقاصده تتمثل في العمل الصالح النابع من الأخلاق الفاضلة، والسعي إلى تعمير الأرض، لما يحقق للإنسان الحياة الكريمة؛ جاءت المنهجية القرآنية لتربط الاستخلاف، وعمارة الأرض بصلاح عقيدة المستخلفين،

وما يقومون به من أعمال صالحة، وواجبات شرعية، تندرج تحت مهام العمران، الذي يعتبر غاية استخلاف الإنسان، "وإذا كان العمران مرتبطا بعبادة الله تعالى، وهما ينتظمان معا للاضطلاع بتمكين الإنسان من القيام بمقتضيات الاستخلاف، فإن هذا العمران لا يكون إلا وفق أبعاد متكاملة: رسالية وإنسانية ومادية تحصنها قيم التقوى، والعدل، والمسؤولية، والصلاح، والإصلاح (البطيوي، 2018، ص123-124)"، يقول تعالى: ((**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**))[النور: 55]، نرى في الآية الكريمة اقتران الإيمان بالعمل الصالح، أي اقتران العقيدة بالعمل، واقتران الجانب النظري بالجانب التطبيقي، وهذا لا شك يؤدي إلى تحقيق غاية الاستخلاف في الأرض على الوجه المطلوب ويقول تعالى: ((**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**))[الحج: 41]؛ "فأعلمهم سبحانه بأن أمر بقاء خلافتهم منوط بأعمالهم، وأنه تعالى يكون ناظرا إلى هذه الأعمال لا يغفل عنهم فيها، حتى لا يغتروا بما سينالونه (رشيد رضا، 1990، ص259)" كما جاء الحث على العمل والكسب الحلال في العديد من الآيات القرآنية الكريمة، منها قوله تعالى: ((**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ**)) [آل عمران: 195]، ومما توحي إليه الآية الكريمة أن الخلافة في الأرض؛ لإعمارها وفق المنهجية القرآنية لا تقتصر على شخص معين، أو جنس معين؛ بل هي شاملة لجميع بني البشر، وصالحة لكل زمان ومكان كما جاءت جملة من الآيات الكريمة التي تحمل أسلوب الوعد والوعيد بين من يحسن استخلافه في الأرض، وبين من يسيء الاستخلاف، يقول تعالى: ((**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**))[النور: 55]؛ فجاء في الآية الكريمة الوعد للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بأن الله جل في علاه لسيستخلفنهم في الأرض، ويمكنهم فيها. ويقول تعالى: ((**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**))[مريم: 59]، وأما في هذه الآية الكريمة؛ فجاء الوعيد للذين أساؤا استخلافهم في الأرض، وعاثوا فيها فساداً، وأضاعوا صلواتهم، واتبعوا أهواءهم، بأن لهم العذاب الشديد؛ جزاء بما قدمت أيديهم.

فالغرض من الاستخلاف واضح وجلي ويتمثل في عبادة الله جل في علاه، وإخلاص الدين له، والانقياد له والطاعة، وعمارة الأرض، وتعميرها بالخير، والعمل الصالح، يقول تعالى: ((**قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**)) [الأعراف: 129]؛ جاء في الآية الكريمة تعليل سبب الخلافة بالنظر في أعمال الإنسان، إذ غاية الاستخلاف الرئيسة كما ذكرنا آنفاً بيان مكانة الإنسان، ووظيفته المكلف بها في الحياة، كونه المستخلَف في الأرض. وكل ما يقوم به الإنسان من أعمال مختلفة يجب أن يكون مؤطراً بإطار الاستخلاف، بحيث ينطلق الإنسان في عمارة الأرض، ويمضي فيها على أساس أنه مُستخلَف، وموجه بتوجيه المستخلِف، فيما يتعين أن يفعل، وما ينبغي أن يترك، فيكون العمران الذي ينجزه عمراناً استخلافياً(النجار، 2017، ص71-72)؛ فالإنسان مأمورٌ بأن يقوم بعمارة الأرض، وبناء الحضارة، والسعي إلى إصلاح الأرض لما أودعه الله سبحانه وتعالى من مؤهلات، أهلته أن يمارس عملية الاستخلاف في الأرض، ولما وهبه من قدرات عقلية، وإمكانيات بدنية، يقوم من خلالها بتحقيق الهدف من وجوده هذا وجاء الاستخلاف مقروناً بالأرض في العديد من الآيات الكريمة، منها قوله تعالى: ((**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**))[النمل: 62]، وقال تعالى: ((**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**))[الأنعام: 165]؛

نلتمس من هذه الآيات الكريمة أن الاستخلاف إنما هو مؤقت ويعنى بالأرض؛ فهي مناط الاستخلاف، وأن الإنسان مكلف بعمارتها؛ فمتى صلح استعمار الإنسان للأرض، وقام بتوظيف قدراته، والموارد التي أتاحها الله له لاستكمال مسيرته الاستخلافية، متى ما صلحت هذه الأرض ومن المعلوم أن لكل إنسان أجل معين ومحكوم بفترة زمنية معينة، ثم يأتي من ينوب عنه، ويستكمل مسيرة الخلافة في الأرض، من شخص إلى شخص، ومن أمة إلى أمة، ومن قرن إلى قرن، قال تعالى: **((وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ))** [آل عمران:14]؛ فعلى كل إنسان أن يحسن استغلال وجوده في هذه الحياة، ويقوم بمهمته الاستخلافية، بمختلف وظيفة كل شخص عن الآخر، الجميع يعمل من أجل استكمال مسيرة الحياة، وكل شخص يكمل الآخر، فالمعلم يعلم، والطبيب يعالج، والقاضي يحكم بين الناس بالعدل، وغيرها من الوظائف، وهكذا تدور عجلة عمران الإنسان، وعمارة المجتمع؛ فاستخلاف الإنسان وظيفة أرادها الخالق للمخلوق يقوم من خلالها بعمارة الأرض بشكل تناوبي بين أبناء آدم –عليه السلام- كما نرى في العديد من الآيات الكريمة إقرار المسؤولية الاستخلافية في عمارة الأرض؛ حيث يعتبر الاستخلاف وظيفة يقوم بها الإنسان من أجل عمارة الأرض، "ومادام الاستخلاف الإنساني ممارسة للمسؤولية العمرانية، وجميع الواجبات المتفرعة عنها، فإن الأمم لا تنفك عن بلورة مدلولات خاصة بها لمعنى المسؤولية، تتحرك بها في إقامة حضاراتها، وتدل طبيعة تمدنها في الواقع على مدى تقديرها لقيمة المسؤولية، فكلما وجدت لديها إنجازات عمرانية راقية افترض معها وجود حس مرتفع للمسؤولية لدى أفرادها (الأحمر، 2017، ص 125)"، ومن أعظم ما قد يحمله الإنسان كما ذكرنا سابقاً أمانة استخلافه؛ يقول تعالى: **((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا))** [الأحزاب: 72]، "إن مفهوم الأمانة والتكليف بها، من الأمور شديدة الأهمية كما جاء في القرآن الكريم، حيث كلاهما- الأمانة والتكليف بها- هي في الأصل صلب غاية خلق الإنسان، واستخلاف الله تعالى له في الأرض، واستعماره فيها كما أنبأ القرآن الكريم (التلاوي، 1441، ص308)"؛ فمتى أحسن الإنسان حمل الأمانة، وطبقها على جميع أمور حياته، مع دينه، ودنياه، ونفسه، وغيره، متى أحسن عمارة الأرض، وحقق أسمى معاني الاستخلاف فيها فالاستخلاف إرادة تحمل في طياتها تكريم الإنسان بهذا المركز، ثم بالتميز بين الكائنات، مع كل ما يستلزمه هذا الاستخلاف، من حق الحرية، وحق الخيار لاتخاذ القرارات الحياتية، وما يستتبع ذلك من واجبات ومسؤوليات تلقى على عاتق الإنسان حول تصرفاته، واستخدام قدراته وطاقاته في خلافة الكون؛ صلاحا وإعمارا، أو فسادا ودمارا؛ فالاستخلاف بما يحمله من متعة التصرف ومسؤولية الخيار هو جوهر الحياة الإنسانية (أبو سليمان، 2008، ص105). ولا نغفل في هذا السياق عن العلم ودوره في تحقيق غاية الوجود الإنساني؛ حيث يعتبر العلم سبباً من أسباب استخلاف الإنسان، والذي تم تفضيل الإنسان به، ومخاطبة الملائكة بهذا الشأن؛ لما يمثله العلم من دور في التوضيح والاستنارة حول عملية الخلافة. فوهب الله سبحانه وتعالى الإنسان من العلم مال يهبه الملائكة، وميزه بالعقل الذي جعله منطلق الخلافة، يستطيع من خلاله السير في مناكب الحياة، والسعي من أجل عمارة الأرض، وتحقيق المهمة الوظيفية للوجود الإنساني، والآيات التي تؤكد على العلم، وتبين أهميته كثيرة، ويكفينا في ذلك أول ما جاء في الذكر الحكيم: **((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ))**[العلق: 1 – 5] ومن خلال التأمل في آيات القرآن الكريم تتضح السنن الاستخلافية العمرانية، وما تؤدي به من الإدراك والوعي حول مواطن نهوض الحضارة وازدهاراها، وأسباب تدهورها وسقوطها واندثارها، والعقل مأمور بالتفكر والتدبر بتلك السنن؛ لأثرها العائد على الفرد ومجتمعه؛ حيث لا يصح أن يكون الإنسان خليفة في الأرض وهو غافل عن سنن الله في التاريخ، والمجتمع، والعمران،

والمصير؛ لأن الاستخلاف أصله استخلاف سنني؛ استخلاف وفق أوامر الله تعالى وتنفيذاً لمراده من تعمير الأرض؛ فلا توحيد بلا تكليف، ولا تكليف بلا استخلاف، ولا استخلاف بلا عمران، ولا عمران بلا سنن (البطيوي، 2018، ص205-206). هذا ويؤدي الجهل بهذه السنن إلى "تأخير فرص العمارة في الأرض، والفوضى في المفاهيم والمصطلحات والموازين، والخرق لنظام المصالح الثابتة والمتغيرة بالخلط بين السنن الجارية والخارقة (عيساوي، 2012، ص178)" وبإدراك تلك السنن قد تتشكل الحضارة، ويزدهر العمران، وقد يحقق الإنسان غاية استخلافه في هذه الأرض؛ حيث تعتبر "السنن التي شرعها الله سبحانه في الأنفس والآفاق المرتكزات التي تقوم على التعامل معها العملية التربوية، وتعتبر حجر الأساس في التنشئة والتحضير للبناء الحضاري (الكيلاني، 1411، ص14)". ولعل من أهم تلك السنن سنة الإصلاح في الأرض وعمارتها بالخير والعمل الصالح، وكل ما يحقق للإنسان إنسانيته، ويرفع من شأنه وشأن مجتمعه، قال تعالى: **((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ))** [النور: 55] وتأتي سنة عدم الإفساد، لتؤكد أثر الإفساد في الأرض، والسعي فيها ظلماً وطغياناً، وما يؤدي إلى هلاك الحضارة، حتى ولو كان المستخلفون فيها أصحاب قوة، وإرادة، وبلغوا من القوة والعلم ما جعلهم يتقدمون في مختلف الأصعدة كالبناء والعمارة، إلا أن ذلك لن يغني عنهم شيئاً، وستقع عليهم سنة العذاب والهلاك صنيعة ما قدمت أيديهم، وبما كانوا في الأرض يفسدون، قال تعالى: **((أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ))**[الروم: 9]، تؤكد الآية الكريمة ضرورة النظر والتفكر في سنن الأمم السابقة، وما حل بهم نتيجة ما كانوا يصنعون، وذلك لأخذ العبر والعظات، وإدراك سنة الله سبحانه وتعالى التي لا تتبدل ولا تتحول أما سنة الاستبدال فقد نبه إليها المنهج القرآني في أكثر من موضع، وأكثر من سياق، وتعني سنة الاستبدال استبدال جيل عن جيل، وقرن عن قرن، وأمة عن أمة، موضحاً أهم الأسباب التي تؤدي إلى استبدال المستخلفين، قال تعالى: **((وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ))** [محمد: 38]، وقال تعالى: **((أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ))**[الأنعام: 6]، وقال تعالى: **((فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ))**[هود: 57]؛ تلفت الآيات الكريمة السابقة النظر حول استبدال المستخلفين في الأرض إذا ما التزموا بشروط الاستخلاف، وحققوا ركائزه.

3. خاتمة:

يتضح مما سبق الغاية من الخلافة إدارة الذات نحو إعمار الحياة، وتسخير الإمكانيات والقدرات، بما يقوم برعاية وخدمة الإنسان بل وسائر الكائنات، واستغلال النعم بما يرضي الخالق، الذي أودعها للإنسان، وكرمه بها عن غيره من المخلوقات، وعلى هذا المقصد القرآني في العمران الاستخلافي نشأت الحضارة الإسلامية وتطورت، مصطبغة بالصبغة القرآنية في مختلف مناحيها، وجميع إنجازاتها، فكل ما حرره المسلمون فكراً، وما أنجزوه عملا إنما صدر عن دافع قرآني، مكيفين أفكارهم وأعمالهم بأحكام قرآنية، فإذا بالعمران الذي أقاموه قد غدا عمراناً استخلافياً ينجزونه في نطاق ما كلفوا به من القيام بمهمة الخلافة في الأرض (النجار، 2017، ص72-73).

1.3. نتائج البحث:

1- عدم اقتصار العمران في القرآن الكريم على البناء المادي فحسب؛ بل يشمل العمران الروحي والوجداني، والمتمثل بالإيمان، والتحلي بمكارم الأخلاق.

2- للعمران في القرآن الكريم العديد من الأبعاد الدينية، والأخلاقية، والمقاصدية، والاستخلافية، والمعمارية التي تخدم الحضارة الإنسانية.

3- يخاطب القرآن الكريم عقل الإنسان وقلبه، ويراعي جميع الجوانب التي تؤثر عليه، وفق أساليب مختلفة تدعوه إلى التفكر والتأمل في جميع ما حوله من مسخرات تساعده في تحقيق الخلافة والعمارة في الأرض.

4- الغاية من تسخير كل ما في الكون للإنسان تتمثل في عبادة الله سبحانه وتعالى وتوحيده، وعمارة الأرض وعمرانها بالخير والعمل الصالح.

2.3. التوصيات والمقترحات:

1- ضرورة فهم الإنسان وإدراكه لحقيقة الاستخلاف وماهيته، وجوهر التسخير؛ وذلك من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم ومنهجيته التي وضحت خيوط الفعل الاستعماري.

2- التشجيع على طرح الندوات والمؤتمرات التي تهتم بموضوع الاستخلاف والعمران في القرآن الكريم، وتبرز أهمية القيم العمرانية في الحضارة.

3- تنمية الوعي الثقافي في مختلف وسائل الإعلام حول أهمية العمران الوجداني في إبراز جمالية الحضارة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وهو الهادي سبحانه إلى سواء السبيل

4. قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

البطيوي، عزيز، (2018) سنن العمران البشري في السيرة النبوية، عمان: مركز معرفة الإنسان للنشر والتوزيع، ط1.

التلاوي، أحمد، (1441هـ) أسس الحضارة والعمران في القرآن الكريم مع تصحيح لمفاهيم خاطئة في فضائنا الإسلامي، الزقازيق: دار مسار للنشر والتوزيع، ط1.

الأحمر، عبد السلام محمد، (2017) استخلاف الإنسان في الأرض بوصفه مقصداً عاماً للقرآن والشريعة والحضارة، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة والعشرون، العدد 89.

الدسوقي، فاروق، (1986) استخلاف الإنسان في الأرض نظرات في الأصول الإعتقادية للحضارة الإسلامية، الرياض: مكتبة فرقد الخاني، ط2.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف، (1412هـ) المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، بيروت: دار القلم/الدار الشامية، ط1.

رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين، (1990) تفسير القرآن الحكيم -تفسير المنار، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط.

أبو سليمان، عبد الحميد، (2008) الرؤية الكونية الحضارية القرآنية المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني، د.ب: د.م، د.ط.

ابن شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، (1409هـ) المصنف في الأحاديث والآثار، تـــ:كمال يوسف الحوت، الرياض: مكتبة الرشد، ط1.

الصدر، محمد باقر، (1421هـ) الإسلام يقود الحياة، تـ: اللجنة التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الصدر، د.ب: د.م، ط4.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (1984) التحرير والتنوير- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط.

عباس، رامي سامي، وخطاطبة، عدنان مصطفى، (2016) مظاهر التكريم الإلهي للنفس الإنسانية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد الأربعون(2).

عبد الباقي، محمد فؤاد، (1364هـ) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: مطبعة دار الحديث، د.ط.

عيساوي، عادل بن بوزيد، (2012) فقه السنن الإلهية ودورها في البناء الحضاري، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني الرازي، (1979) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.ب: دار الفكر، د.ط.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، (1999) تفسير القرآن العظيم، تـ: سامي بن محمد سلامة، د.ب: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، (د.ت) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط.

كهوس، أبو اليسر رشيد، (2013) العمران الإسلامي دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، د.ب: دار الحكمة، ط1.

الكيلاني، ماجد عرسان، (1411) مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، قطر: المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط1.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، (1414هـ) لسان العرب بيروت: دار صادر، ط3.

النجار، عبد المجيد، (2017) مقاصد القرآن في بناء الفكر العمراني، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة والعشرون، العدد 89.

نوري، موفق سالم، (2017) القيم الحضارية في الخطاب القرآني سورة العنكبوت أنموذجاً، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v4.44.15